في العاصفة

جاءني في ليلة ليلاء كانون الثّاني، فسلّم بالعواصف و الصّواعق، و صافح بالبروق و الرّعود. و ما هي غير ساعات قصيرات حتى وجدتني قابعا في زاوية من زوايا بَيتي، و أمَامي موقد فيه حطبات نحيلات، تلحس أبدانهنّ ألسنة نار لعوب طَروب ، و تطفِر منهنّ قُلُوبُهُنَّ شَرارَات راقصَات، و يَرْسَبُ ما تَبَقَّى منهنَّ في أسفل المَوقَد رمَادا بلا حَرَاك. و عَلَى قَيد متر منّي هرَّتي البَيضَاء، و قَد التَفَّت عَلَى ذَاتهَا في شَكل كَعكَة و رَاحَت تغطُّ غَطيطَ مَن يَجهَل الهَمَّ. و الرّيح في ثَورَة و جنون، و البَرق يَنهَش جلْدَ الجَلَدِ، و الرَّعد في غَضْبَةٍ و البَرَدُ كَأنَّهُ وابلٌ من الرَّصَاص، و الظُّلمةُ قد دَغَمَتِ الأرضَ بالسَّمَاءِ.

وعندما خَمَدَتْ أنفَاسُ نَاري و نَضَبَ الزيتُ في سِرَاجِي و انطلقتْ هرَّتي إلى مساهرة الفِئرانِ أويت إلى فراشِي و كأنَّه من جليد . فقلت في نفسي : " هنيئا لمن له مأوًى و فراشٌ في مثل هذا الليل وإن كان مأواه من طين و فراشه من جَلِيد ".

لكن نومي كان سُهادًا ، و كان ليلي جهادًا. فالعاصفة ما انفكَّت تدور من حول بيتِي و تدور ، عاوية عواء الذّئاب، زائرة زئير الأسود، صاخبةً، ناقمةً ،مولولةً . و للرّعد قصف و دويٌّ، و للبَرَدِ على سطح بيتي و نوافذه و جدرانه قرقعة آلاف الطُّبول، يرشقها آلاف الصّبية بالحصى... و للصّقيع في بدني لسعات موجعات حتّى خيّل إليَّ أن العاصفة لن تهدأ قبل أن تقوّض بَيتي من أسسه.

1- و عَبَثًا حاولت طرد ذلك الخيال بخيالات السّموات الزُّرق و المُروج الخُضر و الخمائل الغُنّ، و الصّحاري الملفوفة بأنفاس الهجيرة . فما كنتُ أسمعُ غير هدير الرِّياح، و زمجرة الرُّعود...

فنهضتُ من فراشي و الصّقيعُ يُلاحقُني، و يخزُني في كُل مسامّ بدني، فتصطكُّ أسناني و ترتجفُ مفاصلي، فأُسرعُ إلى موقدي، و أضرمُ فيه نارا. فأتسكَّنُ إلى حين . **ميخائيل نعيمة**

www.madrassatii.com

الشرح :

1- ألسنة نار لعوب طروب : النّار حين تأكل الحطب يتحرّك لهبها و يرتفع و يرقص بدون انقطاع فكأنّه يتمايل طربا.

2- تطفر الشّرارات : تثب صاعدة .

3- تغطّ غطيط من يجهل الهمّ : إن المهموم يتقلّب في فراشه و يمتنع عنه النوم بسبب همومه و هواجسه. أما القطّة فهي مستغرقة في نومها و تشخر فيه لأنّها لا تعرف الهموم .

4- البرق ينهش جلد الجَلَدِ : الجلد : السّماء. و البرق في ضيائه كأنّـه ينهش السّماء أي يعضّها و يشقّ وجهها ثم لا يترك فيها أثرا.

5- البرد : حبوب من الماء المتجمّد تنزل من الغمام .

6- نصب الزيت في سراجي : زال بعد أن أكلته نار الفتيلة و امتصته.

7- انطلقت هرّتي إلى مساهرة الفئران : إن الهرّة لا تسهر حقيقة مع الفئران بل تتربص بها لتصطادها.

8- كان نومي سهادا : السّهاد هو الأرق و امتناع النوم. فالكاتب كان ملقى على فراشه يبغي النوم و ينشده لكن لا يظفر به و لذلك أصبح نومه أرقا.

9- العاصفة ناقمة :نقم ينقم عليه بمعنى سخط عليه و عاقبه ، فكأن العاصفة في هيجانها و غضبها تريد أن تسلّط عذابها على الكون.

10- الخمائل الغنّ : الأشجار الكثيرة الملتفّة و المخضرّة النّاضرة.

11- أسكن إلى حين : يعود إلى السّكون و الهدوء برهة بعد أن كنت أرتعد من شدّة البرد .

www.madrassatii.com